المجال وآليات تدبير النشاط الرعوي عند قبائل زيان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

١٩٥٦-١٨٧٣

إسهام في دراسة التراث والذاكرة التاريخية

المعطي بريان
باحث دكتوراه مختبر التراث الثقافي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن طفيل -المملكة المغربية

بيانات الأطروحة

الباحث: المعطي بريان
إشراف: أ. د. محمد العاملي
جامعة السلطان مولاي سليمان
المملكة المغربية ٢٠١٧

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير
تخصّص التاريخ والتراث والتنمية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال
(٣١٠) صفحة

كلمات مفتاحية: قبائل زيان؛ الدورة الرعوية؛ تربية الماشية؛ الاستعمار الفرنسي؛ التراث؛ التنمية الجهوية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.168407

مُقدِّمَةُ

تُعَدّ دراسة النشاط الرعوي بمجال زيان، من المواضيع التي لم تحظ بعد باهتمام الباحثين في مختلف التخصصات العلمية. سواء في التاريخ والجغرافيا، والاقتصاد، والأنثربولوجيا، والإثنوغرافيا، والسوسيولوجيا وغيرها من الحقول المعرفية. إذا أخذنا بعين الاعتبار ظاهرة التنقل الرعوي بين السهول والجبال كمكون أساسي من مكونات التراث المادي واللامادي، ومن الذاكرة الجماعية في مناطق الأطلس المتوسط عمومًا، ومجال زيان على وجه الخصوص. والظاهر، أن العلاقة بين الإنسان والمجال بالأطلس المتوسط الأوسط. تحكمت فيها خصوصيات الظروف المناخية، ذلك أن الرعي والانتجاع أضحى حاجة ملحة ونشاط مألوف لدى ساكنة الجبال وغيرها من المجالات. ففي الصيف، يستقر الزيانيون بالجبال المحيطة لمجالهم. وفي الشتاء، تكون الوجهة نحو الأزغار. كما ارتبط تنقل البشر في تاريخ المجتمع المغربي عامة، والزياني خاصة، بحاجة القطيع للتنقل لأجل الرعي، فحسب تعبير المؤرخ الفرنسي فيرناند بروديل، في حديثه عن الاقتصاد الرعوي في الحوض المتوسط: "كانت الحياة اليومية تجري وراء العشب الهارب". على هذا الأساس، شكل الرعي نشاطًا اقتصاديًا رئيسًا لدى كثير من قبائل الأطلس المتوسط، إذ عاشت باستمرار وخلال أوقات معينة من السنة، وهي تتحرك وراء مواشيها باتجاه المراعي. ويمكن مقاربة حركة التنقلات، عند زيان من خلال نمطين رئيسيين: حركة تردد

يومية "العزيب"، ثم حركة انتجاع أو ما يسمى بـ "النجوع أو تنجاعت" باللسان الأمازيغي للمنطقة.

أهداف الدراسة

تروم هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من خلال:

مواصلة البحث في التاريخ والتراث الجهوي لجهة بني ملال خنيفرة، بنفس المسار وبكيفية أكثر عمقا واتساعا للأهداف والغايات التي يتبنها الإطار البيداغوجي لماستر المجال والتراث والتنمية الجهوية، بغية تحقيق المزيد من التراكم والشمول تنقيبا ومسحا. وبالأخص في منطقة زيان التي تعد موضوع دراستنا، لأن ما أنجز لحد الآن في ميدان البحوث الخاصة بالرعي والانتجاع، دراسات قليلة، لا تتعدى بعض المقالات وبعض الإشارات الخجولة، الواردة في مختلف المظان المصدرية، والتي لم تؤطر الموضوع من جوانب عديدة، لا زالت تحتاج للدرس والتحليل والمقاربة كجزء من تراث المنطقة، ونموذج لنمط عيش لازال حاضرا إلى الآن.

إبراز غنى وتنوع التراث الرعوي بمجال زيان، باعتبار المراعي تراثًا طبيعيًا جبليًا، يرتبط فيه المادي والروحي، ليشكل أحد المصادر التاريخية للذاكرة الجماعية، ولذاكرة المكان وروحه. والتي تتحكم فيه جملة من الضوابط المنظمة للعلاقات والروابط الاجتماعية، تمشيا مع خصوصية العرف المحلي كجزء لا يجزأ من الهوية السوسيو ثقافية للقبائل الزيانية. مع رصد مختلف إشكالية التغيرات المناخية والتحولات السوسيو-مجالية والاقتصادية، التي لاحقت هذه الأوساط الرعوية مرورًا بفترتي الاستعمار والاستقلال إلى الفترة الراهنة.

بلورة تصورات إجرائية والتركيز على ضرورة إعادة الاعتبار لمراعي مجال زيان لما يحتضنه من مكونات تراثية مهمة، وكذا تأهيل هذه المناطق الجبلية، في إطار برامج تنموية وتشاركية للمناصفة المجالية بمقدورها أن تسهم في رفع بعض تحديات التنمية المحلية والجهوية.

إشكالية الدراسة

إن هذا البحث يعالج إشكالية مركزية تتمثل في دراسة، العلاقة التفاعلية بين الإنسان والمجال من خلال آليات تدبير النشاط الرعوي الذي كان وما يزال ضمن أولويات المعيش اليومي لقبائل زيان، التي حرصت على تنظيمه بتدابير مختلفة تخضع للثقافة المشتركة وأعراف القبيلة، القائمة على آليات الدورة الرعوية لتحقيق التوازن لمجالها الرعوي، وانتظام تنقلاتها بين الجبل والأزغار. مما حدا بقبائل زيان إلى بناء علاقات تعاقدية مع القبائل المجاورة لتبادل حق استغلال المراعي، درءً للنقص في الكلأ.

ورغم التحولات التي مست مختلف المجالات الرعوية خلال فترتي الاستعمار والاستقلال، التي أدت إلى خلخلة البنيات والمؤسسات الاجتماعية، مما نتج عن ذلك من صراعات ونزاعات قبلية على مستوى المجال الخاص بالنشاط الرعوي، وأدى ذلك أيضًا إلى الصدامات الدموية أحيانًا كثيرة، مما ألزم على هذه القبائل إعادة النظر في استراتيجيات الرعي، خاصة مع بداية الاستقلال. ومن ثَمَّ، ما يبرر أهمية تحديد العلاقة التفاعلية بين الإنسان والمجال من خلال آليات تدبير النشاط الرعوي بمنطقة زيان، عبر جملة من الأسئلة المحورية:

- كيف أثر المجال، من حيث طبيعته الجغرافية بمنطقة زيان، على النشاط الاقتصادي القائم على الرعي والانتجاع؟ ثم كيف أثرت الحياة الرعوية على تاريخ المنطقة وتراثها وذاكرتها الثقافية؟
- ما هي أشكال وآليات تدبير المراعي التي عرفتها زيان؟ وإلى أي حد استطاعت أشكال وأليات تدبير المراعي أن تحقق التوازن على مستوى وسطها الطبيعي؟
- ماهي حدود ممارسة العرف، كمعطى تشريعي، في أوساط القبائل الزيانية؟ وما هي إسهامات العرف في تشكيل التراتب الاجتماعي القبلي بالمنطقة، في تدبير مجالات نفوذ الرعي وطبيعة الصراعات والتحالفات؟
- ما هي طبيعة التحولات التي عرفتها المراعي إبان فترتي الاستعمار والاستقلال، وأثرها على المجال والإنسان؟
- ماهي أسس تثمين المراعي كتراث ماديًا وروحيًا، من أجل صيانته وحمايته وجعله أداة استراتيجية في التنمية المحلية والجهوية؟

مصادر وراجع الدراسة

اعتمدنا في دراسة موضوع البحث على مصادر ومراجع اختلفت فائدتها وتفاوتت أهميتها بحسب نوعية المعلومات وقيمة الإفادات التي يقدمها كل مصدر على حدة حول مختلف الجوانب التي تطرحها مشكلة الرعي والانتجاع بقبائل زيان. ويمكن النظر إلى المادة المصدرية التي اقتحمت هذا الموضوع من خلال ثلاث أصناف من المساهمات:

أولاً: المصادر الإخبارية التي أشارت إلى الرعي والانتجاع، وهي قليلة، خاصة في مرحلة ما قبل الاستعمار، وبالضبط ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر. ونذكر منها أبو القاسم الزياني الذي تحدث عن مجال الأزغار، كمنتجع رعوي شتوي تأوي إليه قطعان قبائل اتحادية أيت أمالو التي تنتمي إليه قبائل زيان. وأعطى أبو العباس الناصري صورة واضحة عن العلاقة المتشنجة بين القبائل والمخزن، لكونها تجد دوما في الأراضي الواطئة أو السهلية عند قدم الجبل خلال فصل الشتاء مراعي ومراتع خصبة لا بديل عنها. أما المنصوري أحمد، فهو يقدم أخبارا على جانب كبير من الأهمية حول واقع النشاط الرعوي بزيان قبل الحماية، بأنهم يكسبون رؤوسًا من الماشية بكثرة، تتمثل في الأغنام والماعز.

ثانيًا: الكتابات الكولونيالية التي تناولت المجال الرعوي في إطار دراسات متباينة الخلفيات والأهداف، في هذا السياق قدم لنا شارل دفوكو إفادات إحصائية حول عدد خيام المنتجعين وأعداد رؤوس الماشية التي تملكها الأسر الزيانية. وانفردت دراسة ريمون بيروني عن غيرها من الدراسات الكولونيالية بمعلومات جد مهمة تمثل، البنية المرفولوجية التي تتشكل منها قبائل زيان. ومختلف أصناف الماشية التي تعد الثروة الرئيسية لزيان، بالإضافة إلى تنقلات الموسيمية للمنتجعين والرعاة بين الجبل والأزغار، مبرزا كذلك، جودة المواشي الزيانية والرواج الاقتصادي الذي تعرفه الأسواق. كما أشار سعيد كنون، إلى المؤسسات التقليدية التي تسهر على تسيير كل ما يتعلق بشؤون القبيلة، كالعرف وأمغار القبيلة. بالإضافة شكل وحجم ومكونات خيمة المنتجعين، كمآوي لهم. في حين خصص روبير أسبينيون، مؤلفه لتوثيق الأعراف المنظمة للقبائل الزيانية، رغم إشاراته الخجولة فيما يخص الأعراف التي تنظم الرعي والانتجاع، ومع ذلك يبقى من الدراسات التي لا محيد عنها في عملية كتابة تاريخ المجال الزياني. وتضمنت تقارير ضباط الشؤون الأهلية التي تقدم معلومات غنية ومفيدة حول الموضوع، تتمثل في الأرقام للإحصائية للمواشي، وكذلك المسافة الفاصلة بين بعض المراعي. وهذا لا يعفينا من وضعها تحت مجهر التحقيق والتعامل معها بتأني وحذر. لما تحتوي عليه من أحكام سلبية مبنية على مفاهيم جاهزة مسبقة.

ثالثًا: اعتمدنا في إعداد بحثنا على جملة من المقالات والدراسات التي قاربت الموضوع من زوايا مختلفة، منها مقال الجغرافي جون سيليريي، في دراسته حول "الانتجاع بجبال الأطلس المتوسط"، الذي يحدد الانتجاع في تنقل القطيع بشكل دوري، بالنسبة لقبيلتي بني مكليد وزيان وبالتناوب بين مجالين جغرافيين مختلفين من حيث المؤهلات الطبيعية. وتطرق إميل لاوست، إلى التنقلات الفصلية، بين الجبل وأزغار والتي تدفع قبائل الأطلس المتوسط إلى الانتجاع، وألقي الضوء أيضا على الخيمة ومكوناتها كنمط سكن المنتجعين.

تبعًا لما سلف يمكننا القول، إن الكتب الأخرى التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا البحث كانت مجرد وسائل مساعدة على الفهم وتحليل المعطيات. في ظل ندرة المادة المكتوبة تبقى الرواية الشفهية مادة أولية غطت هذا النقص بشكل كبير ومكنت من خلق أرضية خصبة للشروع في هذه الدراسة، رغم أنها هي الأخرى تطرح عدة مشاكل حيث تكثر إفادتها في مجال وتقل في مجال أخر. وعلى العموم فإنها استطاعت أن تملأ وترمم الفراغات التي خلفتها ندرة المادة المصدرية المكتوبة. لكن من الصعوبة بمكان صياغة وسبك خطاطة بيبليوغرافية متكاملة الجوانب عن تاريخ منطقة زيان، وتفسر إلى حد بعيد الحصيلة الخجولة المحتشمة التي تعتمل دفتي المادة المصدرية حيث يحضر تاريخ المنطقة بشكل عرضي، وفي سياق الأحداث العامة والغريب في الأمر والأنكى أن الكتابات بشقيها الإخبارية التقليدية والاستعمارية لم تفرد هي الأخرى سوى حصادا متواضعا أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه مجرد خدوش باهتة على سطح ذاكرة المنطقة. ما يفسر الاعتماد على الرواية الشفهية والبحث الميداني لنسج اللحمة مع الإطارات النظرية التي وفرتها المادة المصدرية البيبليوغرافية.

منهج الدراسة

لقد تمت معالجة هذا الموضوع وفق منهجية ارتكزت في البداية، على المسح البيبليوغرافي والنظري قصد جمع المعطيات، وبعد الوقوف عن ضعف الدراسات التي تناولت إشكالية تنظيم الرعي والانتجاع بمنطقة زيان، مما فرض علينا اعتماد مناهج متعددة بتعدد المادة المرجعية وزوايا النظر للموضوع المدروس، لكننا حاولنا جعل المنهج التاريخي المبني على الوصف والتحليل والتركيب، هو المنهج المركزي الذي يتحكم في المناهج الأخرى التي انفتحنا عليها، وهي المنهج الأنتروبولوجي القائم على التحريات الميدانية والمقابلات الشفاهية، لدراسة علاقة الإنسان بالمجال، لإماطة اللثام عن بعض جوانب من سلوكيات،

وتمثلات، ومعتقدات، وأنماط ذهنية، ساهمت في بناء معرفة تاريخية متكاملة عن الحياة الرعوية والمعيش اليومي للأهالي بالمنطقة. بالإضافة إلى المنهج الإثنوغرافي محاولين من خلاله مقاربة الإشكال المطروح بوصف عادات وتقاليد المنتجعين بقبائل زيان بعد معاينة ميدانية، وذلك بهدف ترميم، أو إعادة بناء الذاكرة الجماعية للرعاة، كمخزون ثقافي وتراثي، وتاريخي محلي. أما المنهج السوسيولوجي، فقد تمت الاستعانة به لدراسة المجتمع القبلي لفهم أنماط تدبير المراعي الجبلية والسهلية والتحولات التي لاحقتها، خلال فترتي الحماية والاستقلال. وكذلك المنهج الإحصائي الذي ساعدنا على استثمار المعطيات الرقمية وتوظيف اللغة الإحصائية التي تم جمعها من الميدان.

فصول الدراسة

وانسجامًا مع قضايا البحث المتعددة، والمناهج المعتمدة، تم تقسيم الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. تناولنا في **الفصل الأول**، الخصائص الطبيعية والمعطيات التاريخية والبشرية بمجال زيان، سعيا منا إلى مقاربة هذه المراعي في إطارها الطبيعي، وفي سياقها التاريخي. أما **الفصل الثاني**، فقد خصصناه للحديث عن أشكال تنظيم الرعي ونمط المعيش اليومي، التي تحددها فصول السنة وحاجات القطعان من الكلأ، وظروف المراعي والمنتجعات. بينما أفردنا **الفصل الثالث**، للحديث عن أهم التحولات التي عرفتها مراعي زيان، خلال فترتي الاستعمار والاستقلال. التي أدت إلى الحد، من تنقلات القبائل واستقرارها مما سينتج عنه ظهور أنماط عيش جديدة. أما **الفصل الرابع**، فقد خصصناه، في مقاربة مراعي زيان كمواقع تراثي طبيعي، ويمكن أن يساهم، في التنمية المحلية المستديمة، إذا تمت المحافظة عليه وتأهيلها، من أجل التغلب على المعيقات والإكراهات، التي تحد من كسب الرهانات التنموية. فقد خصصناه أما الخاتمة فقد حاولنا فيها بيان أهم ما انتهت إليه هذه الدراسة من نتائج وخلاصات.

نتائج الدراسة

رصدنا في مستهل هذا البحث، دراسة النشاط الرعوي وآليات تدبير المجال عند قبائل زيان من بداية القرن التاسع عشر إلى ١٩٥٦م، كمساهمة في مقاربة الذاكرة، وتثمين التراث، والذي سمح لنا بالكشف على أن مجال زيان يزخر بمقومات طبيعية تؤهله للنشاط الرعوي أكثر من غيره من الأنشطة الاقتصادية الأخرى، من حيث البنية والتضاريس يعني تكاملهما من منظور رعوي.

مما لا شك فيه، أن تنوع الشبكة المائية بوجود شبكة سطحية وسهولة استغلال الفرشة المائية الباطنية يسمح بتوفير نقط الماء للماشية بوسائل مختلفة. كما أن تدرج المنطقة من الطبقة المناخية الشبه الجافة إلى الشبه الرطبة ساهم في تنوع الغطاء النباتي الذي يسمح بوجود الكلأ للقطعان طيلة السنة نظرا لأهمية المجال الغابوي. مما جعل مجال زيان يصنف ضمن المناطق التي تشتهر بالنشاط الرعوي، ولا غرو في ذلك، فقد تحكمت هذه المقومات الطبيعية في استقرار قبائل زيان بالمنطقة، والتي سمحت لها بالانتقال من ممارسة الرعي في إطار الترحال من جنوب المغرب إلى ممارسته في إطار الانتجاع في موطنهم الحالي.

وبناءً على ذلك يمكن القول مجملا، أن أصل قبائل زيان ينحدر من اتحادية آيت أومالو الصنهاجية، وفي نفس الوقت تم الحديث بإشارة دالة ومفصلة عن البطون القبلية مرفولوجيتها الاجتماعية التي كونت قوام الخريطة القبلية للمنطقة عبر تدرجات الزمن التاريخي. عن البنية القبلية للقبائل زيان، وعن مواطنهم السابقة والتي عاشت متنقلة بين عدة مناطق قبل استقرارها بمنطقة تافيلالت وعبورها الأطلس المتوسط الغربي منذ القرن الرابع عشر الميلادي لتخوض صراعا ضد السلطة المركزية التي كانت ترغب في الحد من زحف القبائل الجبلية، وضد القبائل المستقرة بأزغار حتى تتمكن من ممارسة الانتجاع الشيء الذي حققته مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي. انطلاقا مما تجمع لدينا من إشارات مصدرية متفاوتة الأهمية، فإن التشكيلة القبلية لبلاد زيان، لم تأخذ – فيما يبدو-وضعًا مستقرًا وثابتًا طيلة العصر الوسيط وبداية الحديث. لأن أغلب القبائل ظلت في الأغلب الأعم جماعات رحل تعيش باستمرار على إيقاع الإنتجاع والتنقل بحثا عن الكلأ، إذ لم يكن ارتباطها بالأرض والأنشطة الزراعية سوى ارتباط محدود في غالب الأحيان. ومن أجل رسم صورة تقريبية عن النشاط الفلاحي، من جهة الذي يعتمد على زراعة القمح والشعير والذرة، وهي زراعات تستجيب للخصوصيات المناخية بالقسم الأوسط المركزي من الأطلس المتوسط، تماشيا مع هذه الحياة البسيطة والهادئة، ومن جهة أخرى، بعض الحرف التقليدية التي عرفت انتعاشًا ملموسًا داخل هذه الأوسط القبلية، تتمثل في صناعة الخزف والنسيج والدباغة والحرف اليدوية

المحلية كإنتاج الحصائر الحلفاء، والجلابيب والزرابي التقليدية من الصوف، يتم رواج هذا المنتوج الفلاحي والحرفي في إطار المعاملات التجارية داخل الأسواق الأسبوعية بالمنطقة. ومع ذلك تمكنا من وضع اليد على جوانب كثيرة من تاريخها الطويل. لإعادة بناء حيثيات المعيش اليومي لرعاة زيان داخل مجال جغرافي متعدد الأبعاد، السيوسيو-اقتصادية والسياسية والثقافية، ويتجلى ذلك في سلوكات وتمثلات الأفراد، والجماعات على حد سواء، وهو أيضًا ما يشكل ذهنية فترة محددة. سواء على مستوى السكن واللباس والغذاء، وعلى مستوى التقاليد والطقوس الموروثة.

والجدير بالذكر، أن قبائل زيان اجتهدت في تحديد تدابير متعددة لتنظيم مجالها الرعوي، وهو الانشغال الذي شكل القسم الهام من اهتمامات المؤسسات التقليدية بناء على ترسانة العرف التي انتظم حولها الزيانيون وتنظموا بها وانطلاقاً من هذه الترسانة يمكن التعرف على البعد الثقافي للتنظيم الاجتماعي، والتي كانت أنشطتها مركزة حول حماية المجال الرعوي، وتنظيم استغلاله، علما أن هذا التنظيم برز جليا في تحقيق دورة رعوية مما يعبر عن دراية بعواقب تدهور الموارد الطبيعية. باتباع أسلوب "أكدال"، وتنظيم التنقل بين الجبل والأزغار في إطار الانتجاع، والدخول في علاقات قرابة اصطناعية قصد الاستفادة من أكبر مجال رعوي ممكن، والدخول في علاقات تعاقدية وظهر في التحالفات بين "إغصان" والفخذات، وفي العقود التي أبرمتها مع القبائل المجاورة قصد تبادل الاعتراف بحق الرعي مما جعلها تسخر كل الوسائل للحفاظ على التوازن مجالها من جهة، وتأمين الكلأ لقطعانها من جهة ثانية. ويضاف إلى هذا وذاك، ظاهرة الصراعات القبلية التي تتسع دائرتها نتيجة النزاعات التي كانت تنشب بين السكان المحليين حول المجالات الرعوية ومصادر المياه، وهي ظاهر كانت تكتسي أبعادًا خطيرة ومروعة، خلال السنوات العجاف حين يقل رصيد المنطقة من الماء وتتراجع إمكانيات الرعي داخل المجال الطبيعي.

والظاهر، أنه أثناء دخول السلطات الاستعمارية إلى المنطقة تمت مراقبة محاور التنقل، وتسلط قواد الاستعمار على أخصب المراعي الشتوية، وتم خلق وضع قانوني للغابات والأراضي الجماعية مما جرد القبائل من مجال حيوي وأرغمها على التوجه نحو الاستقرار. حيث حرصت سلطات الحماية أيضا على خلق قطعية بين الجبل وأزغار لإرغام السكان على الاستقرار والتخلي عن النشاط الرعوي، حيث أصبح العديد من مربي الماشية أمام اختيارين: فالأول هو المكوث في الجبل طيلة السنة، وهو الصعب حيث إن قساوة المناخ الشتوي يؤدي إلى هلاك القطيع. أما الثاني هو الاستقرار في أزغار الشيء الذي اختارته أغلبية الأسر للجمع بين الرعي والزراعة مما ساهم في تركز الماشية في القسم الهضبي.

وفي السياق ذاته، عرف النشاط الرعوي بمجال زيان تحولات سوسيو-اقتصادية ومجالية كبيرة خلال فترتي الحماية والاستقلال، بمنطقة زيان، مما أدى إلى تراجع في استغلال مجالها الرعوي عن طريق الانتجاع الذي أصبح يمارس من طرف عدد محدود من محدود من الأسر، والتي اتجهت غالبيته إلى الاستقرار وإلى مزاولة أنشطة ومهن جديدة. ومما يسترعي الانتباه، حاولت هذه الدراسة الكشف عن الأبعاد التراثية والتاريخية للرعي، باعتباره نشاط لم يكن معزولا عن ذهنية ومعتقدات الأفراد داخل مكوناته القبلية، أي عن الذاكرة الجماعية المشتركة. لذا، أصبحت المحافظة على التراث الرعوي بمنطقة زيان، وتأهيله وصيانته يقتضي الحد من التفاوت الجهوي بين المجالات الجغرافية (الجبل، الأزغار)، من أجل التفكير في استراتيجية ذات نظرة شمولية تهدف إلى نهج تنمية مجالية مستدامة بالنسبة للمجالات الجبلية الرعوية.

من هذا الفرش القصير لموضوع النشاط الرعوي بمنطقة زيان، ندرك أن الموضوع لازال الغموض والإبهام يلف بعض جوانبه، مما يجعله حلقة من الحلقات الدفينة في تاريخ المغرب. ولازال يحتاج إلى دراسة معمقة تبين أهمية المنطقة بتراثها الزاخر، وهذا لن يتأتى إلا بتظافر الجهود، وتكريس تقاليد الحوار بين مختلف الطاقات والفعاليات، ومن مختلف التخصصات، لأن كتابة التاريخ مشروع تركيبي يستوعب حقول معرفية متباينة، أو بتعبير أكثر إجرائية، فإعادة كتابة التاريخ المحلي أو الشروع فيه يعتبر أولى الأولويات قبل انبثاق أي عمل أخر، وهذه مسؤولية ملقاة على عاتق الباحثين في تاريخ جهة بني ملال خنيفرة.